Studies in Spirituality - Weekly Torah Portions by Rabbi Lord Jonathan Sacks zt"l

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

The Original text in English and translations to other languages can be found here:
https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation/mikketz/to-wait-without-despair/

"مِقيتس" هو النصُّ الأسبوعي العاشر من كتاب "بريشِيت" (سِفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المَقطع الحادي والأربعين وينتهي بالآية السابعة عشر من المقطع الرابع والأربعين.

لا تَقنَطوا من الانتظار

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

يوجدُ أمرٌ غير مألوفٍ على الإطلاقِ بين النصّ الأسبوعي **السابق** وهذا النصّ، إذ يبدو وكأن الأسبوع الفاصِلَ بين النصّين هو جُزءٌ من أجزاء القصّة نفسها. بالتالي علينا أن نعودَ قليلاً إلى الوراء ونَستذكر النصّ الأسبوعي الذي يحمل اسم **"ڤايِشيڤ"** والذي يَتحَدّثُ عن طفولة يوسف، والذي لم يرَكّز على **ما** حدث بقدر ما ركّز على **مَن** كان وراء ما حدث. وفي مُستَهَلّ الحديثِ عن يوسف في هذا النص الأسبوعي، فإنه كان يوصفُ باستخدام أفعال يكونُ فيها مَجهولاً، خاصة خلال رحلة طفولته التي كانت تتخلّلها الكثير من الصعاب. بمَعنى آخر، كان النص التوراتي يُركّز على من وقع عليه الفعل (المفعول به) أكثر من تركيزه على من قام بالفعل (الفاعل)، فقد كان يوسفُ مَوْضِعَ حُبٍّ شديدٍ من قبل والده الذي مَنَحهُ الثّوبَ المُطَرَّزَ المُمَيّزَ، من جِهةٍ أُخرى كان مَوْضِعَ كُرهٍ شديدٍ من قِبل إخْوَتِه الذين كانوا يكرهونه ويَغارونَ منه غيرةً شَديدة. ورَأى يوسُفُ في منامِهِ أحلاماً عديدة، لكننا لا نحلمُ رغبةً في الحُلم، بل نحلمُ لأن تِلك الرؤى والمناماتِ تشقُّ طريقها إلى عقلنا الباطن أثناء نومنا بشكل يصعب علينا فهمه.

لقد كان إخوته يرعون الغنمَ بعيداً عن بيتهم وبدأوا بالفعل بالتخطيط لقتلِه، ولاحِقاً قاموا برميه في البئر، ثُمّ قاموا ببيعِهِ للإسماعيليّين لِيُصبح عبداً لهُم، ومن ثمّ نشأ وترعرع في بيت پوتيفار ليتبوّأ منصباً مرموقاً في الدّولة. لكنَّ النصّ التوراتي يذكر هذه القصة مؤكّداً على أنّ الفضل في هذا لا يَعودُ ليوسف نفسه، بل إلى الله عزّ وجل، تبعاً لما هو مذكور في الآية الثانية والثالثة من المقطع التاسع والثلاثين من سِفر التكوين: **"وكانَ اللهُ معهُ، وكان رجُلاً مُنَجّحاً، وأقام في بيتِ مَولاه المصريّ. فلمّا رأى مَوْلاهُ أنّ اللهُ معهُ، وجَميعُ ما يعملهُ يُنَجّحهُ اللهُ في يده"**.

لكن زوجة پوتيفار حاولَت إغواءَ يوسف ولم تنجَح في ذلك، لكن حتّى في هذا الموقف تحدّث النصّ التوراتي عن يوسف بصيغة المجهول، فهو لم يُبادِر لهذا الفِعل بل هي التي قامَت بذلك، لكن بنهاية المطاف **"تعلّقَت بِقَميصه قائلةً لهُ ضاجِعني، فترَكَ قَميصهُ في يدها وهربَ وخرجَ إلى السّوق"** مثلما تُحدِّثنا الآية الثانية عشر من نفس السفر ونفس المقطع. لكنها استخدمت مسألة الثّوب لكي تدينهُ فيما حدثَ، فأصبحَ يوسفُ أسيراً بعد أن اتّهموه بتهمة باطلة، خاصة وأن يوسف

لم يكن بيده حيلةٌ ليُثبت براءته. لكن يوسف يَعودُ مَرّة أُخرى من السجن ليكون قائِداً وزعيماً، وهُنا تؤكّدُ التّوراةُ مرّة أُخرى بأن الفضل في ذلك يُنسبُ إلى العِناية الإلهية، لا إلى يوسف، تِبعاً لما تذكره الآيات 21-23 من نفس السفر ونفس المقطع والتي تقول:

"فكانَ اللهُ معهُ، وميَّلَ لهُ فَضلاً، ورزَقُه حظاءً عَظيماً عِندَ رَئيسِ السِّجنِ. حتّى جعلَ تحتَ يدِه جَميع الأسرى الذينَ في السجنِ، وجميع ما كانوا يَصنعون هُناك، هو كان يُدّبِرهُ".

لقد التَقى يوسفُ أثناء فترةِ سجنه بِكبير السّقاة وكبير الطّباخين من حاشية فِرعون، وهُناك تراءت لهُم أحلام أثناء منامهم وقام يوسفُ بتفسيرها، لكن في الحقيقة لم يكن يوسفُ هو الذي يُفسّر لهم تلك الأحلام بل كان الله عزّ وجلّ هو الذي يفعلُ ذلك، تبعاً لما تذكره الآية الثامنة من المقطع الأربعين من سفر التكوين: **"قالا لهُ رأينا رُؤيا وليسَ لها مُفسِّرٌ، قال لهما إنّ *التفاسيرَ للهِ*، لكن قُصّوها عَلَيّ".**

في الحقيقة، لا يوجدُ في التَّناخ* أمرٌ كهذا على الإطلاق، فكلّ ما تعرّضُ له يوسفُ كان نتيجة لِفعلٍ قام به شخصٌ آخر: بدءاً من والده وإخوته، مروراً بِزوجة سيّده پوتيفار ورئيس السجن، وانتهاءً بالله عزّ وجلّ ذاته. بصريح العبارة، لقد كان يوسف كالكُرةِ التي تتقاذفُها الأرجلُ من مكانٍ لآخر، ولم يكن له أي شأن فيما حدث. لكن تتوالى الأحداث ويُقرِّر يوسفُ أن يختار مصيره بنفسه هذه المرة، فطلبَ من كبير الطّهاةِ ألا ينساهُ وأن يذكرهُ أمام فِرعون عَقِبَ خروجه من السجن، بعدّ أن عَلِم بأنه سيعودُ إلى منصبه عمّا قريب، وذلك تبعاً لما تذكره التوراة في نفس المقطع في الآيتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة:

"إلى أن تذكُرني معكَ، إذا جادَ لكُ الامرُ، واصنع لي مَعروفاً، واذكُرني عندَ فِرعون وأخرِجني من هذا البيت (15) لأنّي سُرِقتُ من بَلَدِ العِبرانيّينَ، وهُنا أيضاً لم أصنَع شيئاً استحققتُ أن أكونَ بِسَببِهِ في الحَبس".

لقد وقع الظّلم مرّتين على يوسف، لهذا رأى بأن كبير الطّهاة هو فرصتهُ الوحيدة حتى يَنال حرّيته. في الوقت نفسه فإن نِهاية هذا النصّ الأسبوعي تتحدّثُ عن قفزةٍ مدوّية ومخيّبةٍ لآمالِ يوسف: **"فَنَسيَ رئيسُ السُّقاة يوسُفَ، *ولم يذكرهُ*"** تِبعاً لما جاء في الآية الثالثة والعشرين من نفس المقطع. لقد كان لهذا الهبوط المفاجئ في الأحداث وقعٌ شديد على القصّة، خاصة وأن التوراة ركّزت عليه باستخدام الفعل لكن بطريقتين إحداهما مُثبتة والأخرى منفية: الأولى باستخدام الفعل **"نَسيَ"**، والثانية باستخدام **"لم يذكرهُ"**. إننا نستَشعرُ لهفة الانتظار التي مرّ بها يوسفُ وهو يترقّبُ سماع أخبارٍ جيّدة يوماً بَعد يوم، لكن لا توجدُ أخبارٌ سارّةٌ تَلوحُ في الأفق، وبقايا الأمل التي كان يمتلكها ذهبت أدراج الريّاح، فبدأ يتملّكهُ شعورٌ بأنه لن يُبصِرَ نورّ الحرّية طيلة حياته بحسب ما بدَت له الأمور في تلك الفترة.

وحتى نتمكن من استيعاب قوّة هذا الانحدار المدوّي في مسار الأحداث، فإنه يجبُ علينا أن نتذكر بأنه أصبح باستطاعتنا أن نتعرف على أحداث قِصّة معينة بفضلِ ابتكار الطباعة، أي منذ أن أصبحت الكُتُب الورقية متوافرةٍ بين أيدينا، ولولا هذا لما استطعنا طيّ الصفحة التي نقرأها متوجهين للصفحة التالية حتى نتعرّفَ على المزيد من أحداثِ أيّ قصة. وعلى مدار قرونٍ طويلة لم تكُن هنالك كتبٌ ورقيّة مطبوعة، والطريقة الوحيدة لمعرفة القصص التوراتية كانت عن طريق **الاستماع** إلى نصوصها الأسبوعية أسبوعاً تِلو الآخر، ومن كانوا يستمعون لِقصّة يوسف للمرّة الأولى كان يتوجّب عليهم الانتظار بمنتهى اللهفة والترقّب لمدّة أسبوعٍ كاملٍ لمعرفة ما سيَحدثُ معه وكيفَ سيَكون مَصيره.

بالتالي فإن فترة الأسبوع التي تفصِلُ بين قراءة هذا **النصّ التوراتي والنصّ الذي** سبقه تُشبه إلى حدٍ كبير حالة الترقّب واللهفة التي عاشها يوسف في السجن، تلك اللهفة التي استمرّت لمدة **"سنتين كاملتين"** بحسب ما تخبرنا التوراة في بداية **هذا النصّ الأسبوعي**. وبعد انتهاء السنتين، جاءت لحظة التغيير التي بدأت بالحُلُمين الّذينِ رآهُما فرعون في مَنامه، حينها

***مُلاحظة توضيحية من المترجم: التَّناخ** هي كلمة تختصرُ الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نڤيئيم، كتوڤيم"(أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهوديّ المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخُروج وسِفر اللاويين وسِفر العدد وسِفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سِفر يوشَع، وسِفر القُضاة وسِفر صموئيل الأول والثاني وسِفر المُلوك الأول والثاني وسِفر إشعياء وسِفر إرميا وسِفر حزقيال، وسِفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمّ الهاغوغرافا، أي كُتُب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سِفر المزامير، وسِفر الأمثال، وسِفر أيوب، وسِفر روث (راعوث)، وسِفر نشيد الإنشاد، وسِفر الجامِعة، وسِفرُ مراثي إرميا، وسِفر أستير، وسِفر دانيال، وسِفر عِزرا ونحميا، والجُزء الأخير من التَّناخ يضم أسفارِ تدوين التاريخ. بالتالي يضمّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سِفراً (كتاباً).

لم يتمكّن أي من العرّافين أو مُفسري الأحلام الموجودين في حاشيته من تفسيرِهما، الأمرُ الذي جعلَ كبير الطُهاة يتذكّرُ أمرَ يوسف على الفور، وخلال سويعاتٍ معدودة انتقلَ يوسف من قمة الحضيض إلى قمّة العرش، من أسيرٍ بائسٍ إلى وزيرٍ ومستشارٍ لملكِ أعظمِ امبراطورية عرفها التاريخ القديم.

والسؤال الذي يطرحُ نفسه هُنا: ما الهدفُ من هذا التسلسل الاستثنائيّ في مسار الأحداث؟ ثمّة أمرٌ في مُنتهى الأهمية هُنا، لكن ما هو يا ترى؟ باعتقادي فإن الأمر الهام الذي تشير إليه هذه القصة هو أن **الله عزّ وجلّ يستجيبُ لدعائنا دون أدنى شكّ، لكنه لا يستجيبُ لأدعيتنا في التوقيتِ ولا بالطريقة التي نعتقدُ أنه سيستجيبُ من خلالها**، فيوسفُ توجّه إلى الله عز وجل بالدعاء طالِباً منه أن يُفكّ أسره، وهذا بالفعل ما حدث، لكنه لم يتحرر على الفور، ولم يخرج من الأسر لأن كبير الطهاة أوفى بوعده الذي قطعه ليوسُف.

كما أنّ هذه القصة تُعلّمنا مبدأ جوهرياً في طبيعة العَلاقة بين أحلامنا وإنجازاتنا، فيوسف جَسّد شخصيّة الحالِم الكبيرِ في القصّة التوراتية، وجزء كبيرٌ من أحلامه قد تحقّق بالفعل، لكن تلك الأحلام لم تتحقق بالطريقة التي كان يتوقّعها هو أو أي شخصٍ آخر، فمن يقرأ نهاية **النصّ الأسبوعي السابق** - حيث لا زال يوسف أسيراً - سيعتقدُ وكأن أحلام وآمال يوسف قد انتهت بفشلٍ ذريعٍ جداً، لكن علينا الانتظار لأسبوع آخر - بينما كان عليه الانتظار لمدة سنتين كاملتين - حتى نرى التحوّل الدرماتيكيّ في مسار الأحداث ونكتشف بأن أحلامه قد تحققت بالفعل.

بالتالي **لا تتحقّق الأحلام دون أن يبذل المرءُ منّا جُهداً لتحقيقها**، وهذا هو المبدأ الأول التي تعلّمنا إياه هذه القصة، والأمثلة زاخرةٌ وعديدةٌ للتأكيد على هذا المبدأ: فالله عزّ وجلّ أنقذ نوح من الطوفان، لكن كان يتوجّب على نوح أن يبنيَ الفُلك أوّلاً، وقد وعد الله عزّ وجل أفرهام/إبراهيم بأرض الميعاد، لكن كان يتوجب عليه أن يشتري أرضَ مغارة المخيلة (الحرم الإبراهيمي تبعاً للتسمية الإسلامية للمكان) حتى يدفن زوجته ساره فيها. والحال نفسه بالنسبة لبني إسرائيل الذين وعدهم الله بهذه الأرض، لكن كان عليهم خوض العديد من المعارك في سبيل الحصول عليها. والحال نفسه ينطبق أيضاً على يوسف: فقد أصبح قائداً عظيماً، تماماً مثلما رأى في أحلامه، لكن كان يتوجّب عليه أوّلا أن يشحذَ مهاراته وقدراته البدنية والذهنية في بيت پوتيفار وفي السجن حتى يصل إلى ذلك المنصب. وحتى عندما يؤّكد الله عزّ وجلّ لنا بأن أمراً ما سيحدث، فإن ذلك الأمر لن يحدثَ إن لم نبذل جُهداً في سبيل حدوثه، فالوعدُ الإلهي ليسَ بديلاً للمسؤولية البشرية، بل على العكس تماماً، لأن الوعد الإلهي يتطلّب **مسؤولية بشريّة** كبيرة لتحقيقه.

في الوقت نفسه، فإن الجُهد لوحده غيرُ كفيلٍ بتحقيق الأحلام والوعود، لأننا بحاجة ماسّة إلى **"سياتا ديشمايا"** (العون الإلهي من السماوات)، والبشرية بحاجة ماسّة لأن تُدركَ بأننا نتّكل في أفعالنا على قوىً خارجة تماماً عن سيطرتنا، ففي قصة يوسف سنجدُ أن بحثهُ عن الله وتضرّعه إليه في محنته كان أمراً استثنائياً جداً في التّوراة، ولن نجد أحداً تضرّع إلى الله عزّ وجلّ بالطريقة التي تضرّع بها يوسف في سفر التكوين بأكمله، ومثلما يوضّح الحاخام راشي في مستهلّ تفسيره للآية الثالثة من المقطع التاسع والثلاثين من سفر التكوين، فإنّ "اسم الله عزّ وجلّ لم يُفارِق فمَ يوسف"، كما أن يوسف كان ينسبُ كل نجاحاته إلى الله عزّ وجلّ، مُدركاً بأنه لولا عونُ الله ومُساعدته لهُ لما حدثَ ما حدثَ، وانطلاقاً من هذا التواضع أمام الله عز وجلّ يأتي الصبرُ على الشدائد والمِحن.

إن الأشخاصَ الذين نجحوا في إنجاز وتحقيق أمور عظيمة هُم في الحقيقة بمثابة مزيجٍ استثنائي لشخصيات تلك القصة، فمن جهة تجدُ أنهم يعملون بجدٍّ ويبذلون قُصارى جهدهم في سبيل ما يطمحون لتحقيقه عبر العمل والمثابرة. لكن من جهة ثانية تجدهُم يؤمنون في قرارة أنفسهم بأنهم ليسوا وحدهُم السبب الكامنِ وراء القدر الذي سمَح بأن يُكتبَ النجاح لهذه الإنجازات، وبأن جُهدنا البشريّ لم يكن السبب الوحيد حتى تتحقّق تلك النتيجة. بالتالي فإننا نتضرّعُ إلى اللهِ عزّ وجلّ بالدّعاء، واللهُ يَستجيبُ لدعائنا، لكنه لا يستجيبُ لنا دوماً بالطريقة التي نتوقعها أو في التوقيت الذي نتوقّعه. وبطبيعة الحال هنالك أحيانٌ أُخرى يستجيبُ فيها الله عزّ وجلّ لدعائنا **بجواب النفي**: لا.

وفي هذا الموضع يوضّح لنا التلمود (باب نيداه -70 ب) هذه النقطة ببساطة من خلال هذا التساؤل: ما الذي ينبغي عليك القيام به حتى تُصبح ثرياً؟ يُجيب التلمود: اعمل بجدٍ وتصرّف بصدقٍ وأمانة. لكن التلمود يوضح لنا رداً على تعليق البعض بأن هنالك الكثيرين الذين قاموا بذلك بالفعل ولم يُصبحوا أثرياء، قائلاً: عليكَ التضرّع إلى الله عز وجلّ، فهو الغنيّ الذي يجودُ بثروته على البشر. وهُنا تعاود صفحات التلمود طرحَ سؤالٍ آخر: إن كان هذا هو الواقع، فلماذا ينبغي علينا أن نعمل بجدٍ إذن؟ فيجيبُ التلمود: **لأن الدّعاء دونما عملٍ ليسَ لهُ أي قيمة، والعكس صحيح**.

بالتالي، وحتى يتحقّق ما نصبوا إليه فإننا بحاجة للجُهد البشريّ والفضلِ الإلهي على حدٍّ سواء، فهنالِك مراحلُ من حياتنا علينا أن **نتحلى فيها بالصبر**، في حين هنالك مواقف أخرى **لا ينبغي علينا أن نكون كذلك**: إذ لا يجبُ علينا أن نصبر على أنفسنا، في حين يجبُ علينا أن نصبر في انتظار حلول بركة الله عز وجلّ على مساعينا وجهودنا حتى تتحقّق. إن هذا الانتظار الذي يدوم لمدّة أسبوع والذي يفصل بين المحاولة البائسة ليوسف للتحرر من سجنه، وبين نجاحه بنهاية المطاف في التحرر، هو درسٌ يُعلّمنا ضرورة تحقيق التوازن بين العمل والدعاء، وحين نبذل قصارى جُهدنا لتحقيق أمرٍ ما فإن الله عزّ وجلّ يكتبُ لنا النجاح، لكن ليس بالضرورة في الوقت الذي نريدهُ نحن، وإنما في الوقتِ الذي يراهُ اللهُ مُناسباً.

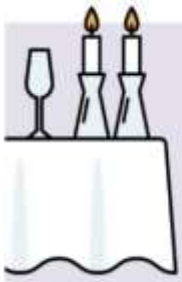

حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأمُلِ

1- كيف يكونُ للإيمان والتواضع دورٌ في الصّبر على المِحَن؟
2- هل يمكنك تسمية شخصية توراتية اخرى معروفة مثل شخصية يوسف ممن تضرعوا الى الله وتوجّهوا إليه بالدعاء لكنهم في الوقت ذاته كانوا يقومون بما يمكنهم القيام به لتحقيق ذلك؟
3- متى حققت النجاح في حياتك؟ وهل تستطيع أن تَنسب الفضل في ذلك الى عون الله لك وعملك الدؤوب من أجل تحقيقه؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/mikketz/to-wait-without-despair/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*